

آفة الدعوة إلى الله العصبية الحزبية

- فضيلة الشيخ بداية نستهل هذا الموضوع بالاستفسار حول معنى الدعوة إلى الله ومصدر وجوبها وأهميتها ..

بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه أجمعين وأسألك اللهم السداد في القول والسداد في القصد والسداد في العمل.

الدعوة إلى الله عزوجل عن طريق التعريف بدينه, بعقائد الإسلام شكل من أقدم أشكال التعاون الذي يؤكد ببيان الله ويأمر به "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" كيف؟ نحن نعلم أن الله عز وجل شاء أن يجعل عباده مختلفين في القدرات وفي المزايا والذي يهمنا في صددنا هذا أن الناس مختلفون في العلم والجهل ففيهم العالم بأمور الدين وفيهم الجاهل , فيهم الملتزم بأوامر الله عزوجل وفيهم الشارد عن أوامره سبحانه وتعالى. فالباري عز وجل أراد أن يجعل ضريبة العلم لدى من أكرمه بالعلم ان يعود به إلى الجاهلين فيعلمهم ويرشدهم ويتحدث عن دلائل هوياتهم عبيداً لله عز وجل ودلائل ربوبية الله سبحانه وتعالى, كذلك جعل ضريبة الهداية التي أكرم الله عز وجل بها طائفة كبيرة من عباده أن يعودوا بهذه الهداية إلى التائهين الشاردين. في الحقيقة باختصار أقول: هذه هي الدعوة وهذا هو مصدر قداستها أي إذا أردنا أن نقف عند قول الله عزوجل : "وتعاونوا على البر والتقوى" لن نجد شكلاً من أشكال التعاون أقدم من التعاون الذي يتمثل في أن ينتشل العالم الجاهل من ضلال جهله وأن ينتشل الملتزم الشارد من أودية تيهه . هذا هو باختصار معنى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

أما أهميتها فتتجلى في الآيات الكثيرة التي يذكرها بيان الله بأساليب متعددة مثلاً عندما يقول : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " اللام للوجوب وهذا متفق عليه, ننظر فنجد مرة أخرى يقول : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" أسلوب آخر يقول به ربنا عز وجل: " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين " أعتقد أن هذه الآيات وأمثالها الكثيرة في كتاب الله عز وجل يبرز أهمية القيام بهذا الواجب في المجتمع الإسلامي.

• آليات الدعوة فضيلة الشيخ والصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي...؟

آليات الدعوة كثيرة في الواقع لكن الأفضل أن نختصر مع الإيضاح, أول ما ينبغي أن يمثل في أذهاننا من آليات الدعوة : العلم. فالشريعة الإسلامية لا تجيز لإنسان أن يعظ موعظة فارغة من العلم, أي الموعظة الوجدانية العاطفية الخالية من أركان العلم ودعائم العلم مرفوضة, فأول ما ينبغي أن نتذكره من آليات الدعوة أن يكون الداعي متمتعاً بمعرفة سليمة صحيحة في الأمر الذي يريد أن يدعو به إلى الله, طبعاً هذا لا يعني أن الداعي ينبغي أن يكون مطلعاً على كل ما في الإسلام , لأ , يعني ينبغي أن يكون خبيراً بالأمر الذي يريد أن يحاور الناس به, الشيء الذي يريد أن يجعله رأس ماله في الدعوة ينبغي أن يكون بصيراً به, خبيراً به هذا أول شيء. الشيء الثاني من آليات الدعوة أن يكون سلوكه جاذباً للمدعو إلى الانقياد لما يسمع فصحيح اللسان يعبر عن مكنون العلم الذي يحاوره به, لكن الشيء الذي يجذب التائه , الشارد , الجاهل إلى الالتزام ليس هذا, هو واقع الداعي فينبغي أن يكون هذا الداعي ملتزماً, وينبغي أن يكون صادقاً مع الله , وينبغي أن يكون مخلصاً متجرداً عن سائر الأغراض عندما يحاور الآخرين ويدعوهم إلى الله عزوجل, يعني ما ينبغي أن يستبطن فائدة , مصلحة , مرتب إلى آخر ما هنالك, عندئذ لن يجد في الغالب فائدة من وراء دعوته.

الأمر الثالث وهذا من الأهمية بمكان, وكثيراً ما نعجز عن الانضباط به أن ينطلق الداعي إلى الله عزوجل إلى دعوته من الشعور بالشفقة على الجاهل , من الشعور بالشفقة على التائه , على الفاسق, على الفاجر والغيره عليه والحب له. يعني ما ينبغي أن يكون الداعي كما نرى في كثير من الأحيان يجعل من الدعوة أداة لإشفاء غليله, زيد من الناس يريد أن يفضحه على رؤوس الأشهاد يريد أن يبرز انحرافه كذا .. الخ , فيجعل من طريقة دعوته له وسيلة لفضحه, المهم أن ما ينبغي إذا راجع نفسه وسأل نفسه لماذا أنا أدعو هذا الإنسان؟ ينبغي أن يكون على حذر من أن تكون دوافع دعوته له مكيدة , غرض دنيوي , إساءة .. نحو ذلك. وما ينبغي أن يقول لا البغض (هناك من يناقشنا في ذلك) يقول الحديث صحيح يتحدث عن الحب في الله والبغض في الله, البغض في الله أيضاً من الأمور التي ينبغي, نعم هذا صحيح, ولكن العلماء قالوا : تبغض في العاصي معصيته ولا تبغض شخصه. هذا ما ينبغي أن نعلمه. لاحظ قول سيدنا لوط لقومه ماذا قال: "إني لعملكم من القالين" وما قال إني لكم من القالين , فالبغض في الله وارد لكن شتان بين أن أبغض شخص العاصي هذا غير وارد وبين أن أبغض معصيته مع الشفقة عليه , الدين نصيحة وهيئات أن يكون الإنسان ناصحاً إذا كان مبغضاً لمن ينصح . هذه هي الحقيقة وباختصار هذه هي الآليات.

● أي النوايا الصافية والخلو من الأغراض إلا مرضاة الله تعالى ؟؟؟؟

والشفقة .. أن يُشعر نفسه بالشفقة على هذا الإنسان المتكبر عن الجادة ... يعني مريض .. باختصار أقول للأخوة الداعي طيب والمدعو مريض والطيب لا يكون طبيياً ناجحاً إلا إذا اندفع إلى تطيب مريضه بدافع من الشفقة والرحمة هذه حقيقة.

● هناك سؤال ورد من عدد كبير من الأخوة ... هل من فرق بين طريقة الدعوة إلى الله

في المجتمعات الإسلامية وطريقتها في المجتمعات الأخرى الغربية مثلاً فضيلة الشيخ ؟؟

من حيث الأسس التي تحدثنا عنها لا فرق، يعني آليات الدعوة ، ما يتعلق بأن يكون الداعي عالماً ، ... الخ . لا يوجد فرق، لكن هنالك ملاحظة هامة ، الإنسان الذي يدخل في المجتمعات الغربية مثلاً يدعو الناس التائبين إلى الله، ينبغي أن يركز على العقيدة، ويبرهن على دلائل وجود الله، دلائل وحدانية الله، الدلائل الناطقة بعبودية الإنسان لله عز وجل فإذا أشبع مجلس الدعوة مع الآخرين بهذه النقطة ما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى الحديث عن الفرق والمذاهب، المذهب الفلاني خاطئ وهؤلاء مبتدعون والطريقة المثلى كذا وكذا ، هذا يُضَيِّع وهذا خطأ، يقف عند حدود إدخال العقيدة في طوايا فؤاد هذا الإنسان بعد ذلك هو الذي سيتحدث وسيسأل عن النهج الأمثل الذي يتبعه. الشيء الآخر، طبعاً دلائل العقيدة كثيرة، الدلائل العلمية لا يستغنى عنها لكن بالنسبة للرجل الغربي ما ينبغي أن يركز على الدلائل العلمية ثم يصمت ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى النواحي العاطفية، يعني يبرز دلائل عبودية الإنسان لله عزوجل وعوامل محبة العبد لله عز وجل بالطريقة الوجدانية، ذلك لأن الرجل الغربي اليوم مشبع بالقضايا الفلسفية ، العقلانية ، ... الخ. لكنه يعاني من جفاف ، يعاني من حاجة إلى أمور وجدانية عاطفية، وأنا عشت ورأيت هذا ، هذا ما يمكن أن يميز دعوة الداعي في المجتمعات الغربية عن الدعوة بين المسلمين، التركيز على العقيدة ثم عدم تجاوزها، بعض الناس مع الأسف أصحاب انتماءات مذهبية معينة متعصبون لانتمائهم هذا يصرون على أن يدخلوا عصبيتهم المذهبية في نفوس وفي عقول أناس أجنب لم يؤمنوا بعد بالله عزوجل الإيمان الكافي ، دعهم يا أخي، أعطهم زاد اليقين بالله وانقله من الضياع الإلحادي ، الضياع البوهيمي كما يقولون ، إلى معرفة ذاته عبداً لله ومعرفة مولاه وخالقه الله ومعرفة مسؤولياته اتجاه الله ثم اتركه، هذا مهم جداً.

● ماذا تقصد بالعصبية الحزبية والتي هي الموضوع في حلقتنا اليوم... آفة الدعوة إلى الله

العصبية الحزبية ؟

كلمة العصبية في الواقع يمكن أن نترجمها إلى كلمة مستعملة أكثر ، الأنانية ، والأنانية مترجم أيضاً إلى الاستكبار .

نحن نعلم أن الشخص في كثير من الأحيان يوصف بأنه أناني، وإن شئت تقول يوصف بأنه مستكبر ، أنانية الشخص تعني أنه يضحى بالحق ، يضحى بحقوق الآخرين في سبيل ذاته، في سبيل أفكاره، في سبيل مصالحه، يعني ذاتيته مقدسة عنده إن أصاب ، إن أخطأ ، لا يلتفت إلى ميزان الصحة وعدم الصحة، الصواب والغلط ، وإنما يلتفت إلى ضرورة الاعتداد بذاته والاعتداد بالذات يتمثل في الاعتداد بالمصالح المالية ، بأفكاره، بمذهبه .. الخ. بأسرته، بنسبه ... كل ذلك، هنا ينبغي أن نعلم أن الأنانية كما تكون وصفاً للشخص الواحد تكون الانانية او العصبية وصفاً للحزب، الجماعة يعني الأنانية الجامعية تماماً كالأنانية الفردية، ولنا أن نتصور جماعة أو حزب من الأحزاب، هذا الحزب شخصية اعتبارية فهذا الحزب إن لم يأخذ على نفسه ويلتفت أفراده إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه سيقعون فيما يقع به الفرد من أنانية ومن ثم ممكن أن تجد هذا الحزب ، هذه الجماعة تعتد بنفسها بقطع النظر عن الصواب أو الغلط. ترى أن المنتسبين إلى هذه الجماعة و هذا الحزب هم يعدّون من الدرجة الأولى ، الآخرون من الدرجة الثانية ، يمكن أن يكون لدى كل واحد منهم الشعار الذي يردده بعضهم (من لم يكن منا فهو علينا). إذاً العصبية هي الانانية. والانانية بالنسبة للشخص معروفة ، نقول عن فلان اناني يعني متكبر كذلك تماماً الأنانية أو العصبية التي تتراءى في الحزب أو الجماعة أخطر من الانانية التي يمارسها الفرد في حق نفسه. في الواقع هذه هي آفة الدعوة إلى الله عند من يجعل من نفسه جزءاً أو ركن من أركان جماعة أو حزب ، من المفروض أن يكون يقظاً كل اليقظة و أن لا ينزلق إلى هوية العصبية ولكن هذا كلام نظري ولعلنا سندلل على ذلك ، كلام نظري لن تجد جماعة ألفوا فيما بينهم حزباً وتحركوا تحت مظلته إلا وهيمنت عليهم مشاعر العصبية للذات، العصبية للجماعة وينظرون إلى الآخرين على أنهم من الدرجة الثانية، هذه موجودة ، يعني هذا ما نقصده بكلمة العصبية الحزبية.

● مقتضى كلامك فضيلة الشيخ ان التحزبات الإسلامية القائمة بمهام الدعوة الإسلامية

لا إشكال فيها ولا مانع إن خلت من العصبيات التي يعاني منها الحزبيون ؟؟؟؟

نظرياً هذا الكلام سليم، يعني إذا وجد حزب يمارس العمل الإسلامي ، يقوم بالأنشطة الإسلامية ، وهو متحرر من العصبية بالمعنى الذي ذكرناه الآن ، لا إشكال ، لكن هل من الممكن أن يتحقق هذا ؟ لا يمكن أن يتحقق ذلك بشكل من الأشكال والتجربة دليل من الأدلة على هذا، أريد أن أوضح هذا الموضوع ويمكن أن يحتاج إلى شيء من التفصيل.

المجتمع الإسلامي ككل مجتمع خاضع لقرار الأخوة التي صاغها الله وأعلن عنه "إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم" أليس كذلك؟ إذاً هنالك حقيقة بارزة أوضحها لنا الله عز وجل أن الأسرة الإسلامية المؤمنة هي في الواقع أسرة واحدة تربطها بعضها ببعض الأخوة التي أعلن عنها الله عز وجل, أنا الآن إذا أردت أن أنشأ حزباً , ماذا أصنع؟ أقتطع من هذه المجموعة التي جعلها الله عز وجل أخوة , أقتطع منها جزءاً وأصوغ منها جماعة أو حزباً , ماذا صنعت أنا الآن؟ أنا جعلت من الحزب الواحد الذي أعلن الله عز وجل رابطة الأخوة بين أفرادهم جميعاً, اقتطعت منه جزء وجعلت منه حزبي, الشيء الآخر الذي سيتحقق من وراء ذلك , أنني أنا أفترض بأنني أنا سأصوغ هذه الجماعة أو الحزب, يوماً بعد يوم بعد يوم ستكون علاقتي مع أعضاء هذا الحزب متميزة عن علاقتي مع من قال لي الله عنهم: "إنما المؤمنون أخوة", وعندما أتحدث عن أعضاء هذه الجماعة أقول هذا من إخواننا وينبغي أن نرعى إخواننا, إخواننا ذهبوا , إخواننا جاؤوا, هل هذا من إخواننا؟ لا ليس من إخواننا ... لاحظ هذا ما يتم قولاً واحداً وفي هذه الحالة ماذا نكون قد صنعنا؟ خالفنا مخالفة حادة قول الله عز وجل: "إنما المؤمنون إخوة", دعني أضع إخواننا المشاهدين أمام أمثلة واقعية, كثير من الاخوان المسلمين كانوا أصدقاء لي طبعاً البعض منهم سافروا والبعض منهم ... في صداقة, لاحظت ملاحظة وأنا أقول بصراحة: مؤسفة, الواحد منهم يعامل من هو في داخل الدائرة الحزبية التي ينتمي إليها معاملة معينة خاصة متميزة عن معاملته للآخرين , مع العلم بأن هذا الإنسان الذي يعامله معاملة متميزة خاصة لأنه من الجماعة قد يكون مخطأ وقد يكون الآخر الذي يرفضه والذي يشطبه على الاهتمام به محق , يحصل هذا , لكن العصبية الحزبية فعالة لا ينظر إلى هذا الإنسان, كثيراً ما مثلاً في فحوص الجامعة, لنفرض أنني حزبي عندما أصلح أوراق الطلاب اشم كل ورقة لمن هذه الورقة إذا استطعت أن أستبين الاسم في الزاوية لا أقصر فإذا كان من الجامعة أغض النظر وأرفعه إلى مستوى النجاح, وإذا لم يكن من الجماعة ربما أعرض عنه, هذا واقع , ومن ثم فإنني أفترض هذا الذي قلت إذا كان الحزب الذي ينهض باعمال النشاط الإسلامي متحرراً من العصبية يا مرحباً , لكن هل يتحقق هذا ما رأيت ذلك متحققاً , أقل ما في الأمر أنني عمدت إلى الجامعة الإسلامية المتمثلة في كل المؤمنين بالله عز وجل فاقتطعت من هذه الجامعة قطعة وفصلتها عن الاخوة الإسلامية الإيمانية.

لاحظ شيء غريب في كتاب الله عز وجل عندما يتحدث البيان الإلهي عن المسلمين يصفهم بالحزب الواحد: "ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين فإن حزب الله هم الغالبون" , "ألا إن حزب الله هم المفلحون" , حاول أن تقرأ القرآن من أوله إلى آخره لن تجد في آية أنه ينعت المسلمين بالأحزاب

، حزب واحد فإذا تحدث عن الآخرين جمع "ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله" ، " فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين أشركوا من مشهد يوم عظيم " شيء غريب لماذا؟ لأن القرآن يركز على أن الجماعة الإسلامية ينبغي أن يكونوا حزباً واحداً..

● الأمة الإسلامية لنقل؟؟؟

الأمة الإسلامية تماماً، ينبغي أن يكونوا حزباً واحداً ، جماعة واحدة ، كيف أخالف ما قد قضى به الله ، شيء آخر يؤكد هذا المعنى الذي أقول ، أيضاً يرتبط بهذا الكلام ، تلاحظ ان الله عز وجل في القرآن عندما يتحدث عن النور يتحدث عنه بصفة المفرد إذا تحدث عن الظلام يتحدث عنه بصيغة الجمع "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور " "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" لماذا؟ لان مصادر الظلمات كثيرة، المذاهب الشاردة عن الحق كثيرة جدا جدا ، لكن مصدر النور واحد، جبل واحد لا ثاني له، مصدر النور واحد وهو الحق سبحانه وتعالى. وهذا يتجلى جدا جدا في قوله عز وجل: " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" طريق الحق سبيل واحد ، فإذا شرد الإنسان عن هذا الطريق يجد نفسه أمام سبل شتى تتوازعه ، أظن هذا الكلام واضح جداً جداً.

هذه هي الأمة ، كما تقول أفضل من كلمة جماعة، هذه هي الأمة أنا أندرج فيها وأنشط وأقوم بكل ما أستطيع القيام به وأنا جزء من هذه الجماعة، الآن أنا ذكرت وأنا أتهياً لهذا اللقاء شيء مهم جداً . شخص مخضرم عاش في أواخر الخلافة العثمانية وأوائل عهد أتاتورك اسمه سعيد النورسي، لعلك سمعت به، لقب ببديع الزمان كان آية من آيات الله، هذا الرجل كان رانياً وكان عظيماً وكان داعياً إلى الله ، لكن بعيد عن السياسة كان يقول كلمته انتشرت لا أقول في تركيا بل في العالم العربي كله: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ، حوكم في عهد مصطفى كمال وعندما وقف في المحاكمة اتهم بأنه يسعى إلى إقامة حزب فماذا قال؟ انا أظن ذكرت دفاعه عن نفسه في هذه النقطة ، ماذا يقول؟ (إنه ينبغي أن أبادر فأعرفكم على هذا الحزب الذي انتسبت إليه، إنه الدائرة التي تتسع لاربعمئة مليون من أعضائه - كان المسلمون آنذاك بهذا الشكل - المنتسبين إليه والعاملين من أجله وبياناته التي تنشر نظمهم وأفكارهم تتمثل في عموم المكتبة الإسلامية التي تعكس حقيقة الإسلام وجوهره أما صحافته فتتمثل في كل صحيفة تتخذ من إعلاء كلمة الله شعار له، مركز هذا الحزب عامة ما ينتشر من بقاع الأرض من مساجد ومدارس لتعليم الإسلام وزوايا لذكر الله وعبادته، حزب هذا شأنه لا بد أن رئيسه هو فخر الكائنات محمد عليه الصلاة والسلام ومسلكه التربوي هو أن يجاهد كل عضو فيه نفسه التي بين جنبيه حتى يجعل منها قدوة صادقة لكل مسلم ، ونظامه يتمثل

في الوحي الإلهي والسنة النبوية وسيفه في المعارك الحجج القاطعة ذلك لأن التغلب الحقيقي إنما يكون بالإقناع العقلي لا بالإكراه المادي, إن تحري الحقيقة ليس له من سبيل إلا سبيل المحبة والأخلاق الحميدة ولذلك فإن تسعة أعشار الدين الإسلامي يتمثل في مقومات هذين المبدئين والعشر الأخير هو وحده الذي يتمثل في السياسة وهذا ما نوكله إلى أمانة أولي الأمر ووجدانهم، فأنا أفخر بأبي واحد من أصغر أفراد هذا الحزب وبأبي واحد من أولئك الذين يعلنون دائماً عن التشبث بمبادئه ونظامه) .. لاحظ, هذا النهج هو النهج الأمثل، واحد فقط يفتح الله عز وجل به قلباً غلفاً في لا أقول مدينة بل ربما دولة.

• أو في عصر , لكن في الناس من يقول فضيلة الشيخ إن الدعوة عن طريق الحزب

تضمن الانضباط لهذه الدعوة بالنظام ورسم الأهداف والابتعاد عن الفوضى في أعمال الدعوة ، يعني كيف يمكن أن تتم أعمال الدعوة برأي هؤلاء ما لم تكن هناك مجموعة من الضوابط، قاعدة معينة يمكن أن تنطلق من خلالها هذه الدعوة، وبالتالي يصلون إلى هذه القاعدة التي يمكن أن تسمى قاعدة حزبية أو جماعة ، كيف تجيب فضيلتك؟

يعني خلاصة ما يقولون أن مزية الحزب يجعل أعضاؤه منضبطين بالنظام، هذا كلام سليم، وقولاً واحداً العمل الجماعي في الدعوة إلى الله ما ينبغي أن يتسم بالفوضى هذا كلام سليم، لكن أقول هؤلاء الأخوة: ليس السبيل إلى الانضباط بالنظام في أعمال الدعوة الإسلامية ملتزماً بالضرورة بالحزب، فنحن عندما نكون جماعة نريد أن نبدأ بمشروع، نسير في طريق، أن نتعاون في عمل ما بإمكاننا أن نضبط أنفسنا بنظام بدون أن ننشأ حزياً بالمعنى المعروف لكلمة حزب، يعني أنا الآن أستطيع أن أضرب مثلاً، هنالك جماعة اسمها جماعة التبليغ هذه بدأت في الهند وهم ينتشرون لأعمال الدعوة في بقاع العالم كله ويصلون إلى أمريكا و.. منظمون ولكن أبدأ لم يشاؤوا أن يكونوا من أنفسهم أعضاء في حزب وأنا أعرف كثيراً منهم طبعاً بعيدون عن السياسة كل البعد، منظمون أنفسهم تنظيم كامل دون أن يلحظهم ذلك لأن يكونوا حزيين، منهجهم الذي يسلكونه هو ما قد قلت بالنسبة لآليات الدعوة وأهمها الشفقة على العاصي، قد يكون ليسوا جميعاً على المستوى الكافي من العلم، فيهم علماء ولكن فيهم أيضاً من بضاعته مزجاة ، ضعيفة في الناحية العلمية لكنه يتحرك ضمن إمكاناته ، كثيرون منهم يدخلون بعض الملاحية ويستأذنون القائمين بالأمر بأن يعطوهم نمرّة ربع ساعة ، عشر دقائق فيكلموا هؤلاء السكارى ، هؤلاء الذين ينغمسون في لهوهم، وهل تعلم كم تفيد هذه الدقائق التي يقفون فيها مع هؤلاء؟ طبعاً بأسلوب في غاية من الرقة، في غاية من الود ، في غاية من الرحمة، أنا أعلم كذا من الأشخاص الذين انتشلتهم هذه الجماعة من الملاحية، مباشرة خرج

وتبعهم واغتسل وتاب إلى الله, أعلم ناس في الإمارات , ناس في بقاع كثيرة, إذاً منظمين أم غير منظمين؟! لم يلجئهم ذلك إلى التحزب الذي يزجهم في العصبية التي تحدثنا عنها, أقول لك شيئاً آخر: الإخوان المسلمين بدأوا بإنسان رباني الشيخ حسن البنا هذا الإنسان لم يتخذ بادئ ذي بدء حزباً , كان له ثلة من أمثاله المتجهين إلى أولاً الانضباط بأوامر الله والتزكية النفسية , ثانياً الدعوة إلى الله فكان عمل الشيخ حسن البنا عمل تربوي وأرجو أن يعلم هذا الأخوة الذين يمارسون العمل الاخواني اليوم , لكن لا يعلمون من هو الشيخ حسن البنا آنذاك. كان الرجل قوام ليل , كان الرجل كثير الذكر, وكان كثير التبتل, ولذلك كان مؤثراً فيما بعد دخل الجماعة دخل فيها أناس كثيرون فتحول العمل من جماعة إلى حزب وتحولت الجماعة التي كانت تنهج منهجاً تربوياً فقط إلى منهج سياسي ولو أن الشيخ حسن البنا كان اليوم حياً لتبرأ من هذا الوضع بهذا الشكل, هذه حقيقة.

● لكن أيضاً يقولون من مزايا الأحزاب الإسلامية أنها توفر لذويها الاشتراك مع الآخرين في الأنشطة السياسية في المشاركة باتخاذ أو بصنع القرارات ولعل في ذلك من الخير نتائج الدعوة الإسلامية ما لا يخفى ؟؟؟؟

التجربة دلت على أن هذه الفائدة فيها فائدة في الظاهر ولكنها تستبطن نقيض ذلك, فنحن إذا أردنا أن نجعل من وجود هذا الحزب وسيلة للوصول إلى ساحات السياسة, واضح كيف؟ أهذا يعد مغنماً , هذا ليس مغنماً بشكل من الأشكال , هذا بالإضافة إلى الآفات التي تدخلها, لا بأس أن أذكر لك شيء يتعلق بنفسي, الآن تذكرت ذلك, في الثمانينات من القرن الماضي دعيت من قبل بعض المسؤولين الكبار إلى أن أنشأ حزباً إسلامياً وأن يكون هذا الحزب موجود في الجبهة الوطنية التقدمية, فانا قلت أما ضمانات النجاح فانا أضمن ذلك, وأنا أعلم أنني لو أعلنت أنني سأنشأ حزباً إسلامياً خلال شهر لن يقل عدد الداخلين في هذا الحزب المليون , لكن جواب عن سؤالك, ماذا أكون قد صنعت للإسلام؟ أسأت أم أحسنت؟ لا سوف أسيء أولاً عندما يكون لي كرسي سادس أو خامس مثلاً في الجبهة الوطنية التقدمية معنى ذلك أن المجتمع السوري تقاسمته هذه الأحزاب الخمسة, نصيب الإسلام من هذا الخمس أو السدس. قلت العبارة التالية: الإسلام ليس إصبغاً خامساً بين هذه الأصابع, الإسلام هو المعصم الذي يجمع , كيف أريد أن أجلس على كرسي أكون انا واحد قسيم أصبحت قسيم, أنا ممكن أعتز بهذا الشكل ولكن أنا أكون قد أسأت للإسلام, الشيء الآخر قلت للمسؤولين معروفين الآن وموجودين قلت أولاً أنا عندما أنشأ هذا الحزب أنا بشر أقع فيما وقع فيه آخرون سأجد من حوالي أناس دخلوا في هذا الحزب وأجدهم دائماً أمامي ويجلسون حولي ومعني يحذرونني يمدحونني ..الخ. سأجد بأن علاقتي بهذه الجماعة أصبحت

هي البديل عن قول الله تعالى : "إنما المؤمنون أخوة". ولسوف أجد أن علاقتي مع هؤلاء الأخوة تعلق فوق علاقتي ، فيا أخي كيف ألقى الله؟! ربما كان أناس بعيدين عن هذا الحزب أفضل بكثير، من كل هؤلاء الأعضاء ، شيء آخر وهذا أيضاً من الأهمية بمكان، هنالك سياسيون حرفيون مهنيون يريدون أن يصلوا إلى أمانهم من أقصر طريق عندما يجدون ان هنالك حزب إسلامي، طبعاً الحزب الإسلامي له مزية لا يتمتع بها الأحزاب الآخرين: ليبراليين ، شيوعيين، اشتراكيين .. ماهي ؟ أنهم يتمتعون بالعاطفة الإسلامية للمجتمع عندما أحاطب هؤلاء وبأنني مسلم وأني أريد أن أطبق الإسلام سأجد عشرات بل مئات الناس يفسحون لي المجال ويتبنون وصولي إلى الحكم، هؤلاء السياسيين يسيل لعابهم وسرعان ما يأتي الواحد يطلق لحية ويظهر التمسك بالدين والغيرة على الإسلام ويسجد ودائماً يضغط عند سجوده ليحدث علامة سجود على جبهته، أقول هذا شيء واقع، طيب أنا ما أدراني بحقيقته ويدخل ويسابقني في الغيرة الإسلامية وواحد ثاني، وعشر، وعشرون وهكذا ... أخيراً سأجد أن ظهري أصبح مطية هؤلاء الناس ركبوا الإسلام عن طريقي فلما وصلوا إلى الحكم لم يعودوا يتعرفوا علي، أنا لا أتحدث عن خيال لا أتحدث أبداً، لا يوجد حزب إسلامي إلا وخمسون بالمئة منه أو أكثر من الحرفيون الذين دخلوا في هذا الحزب لأنهم وجدوا أن الطريق معبد إلى أمانهم السياسية المختلفة التي يريدون الوصول إليها إذاً هذا الكلام غير وارد، وأصلاً من قال إن عمل الدعوة إلى الله عز وجل يكمله النشاط السياسي، لا بل يلغيه وينسخه النشاط السياسي انا عندما أقوم بعمل سياسي لا أستطيع أن أقع رئيس الدولة أو المسؤول بأنني أنصحه الله، يجد أنني أناكبه العمل وأسابقه في الهدف ويسيل لعابي على الكرسي الذي يجلس عليه، كيف كيف يصدقني؟ لكن عندما يعلم اني زاهد في كرسيه وإنما اطمع في عقله مثلاً عندئذ يمكن أن يستجيب لي، هذه حقيقة.

- هل من بديل إذاً عن النظام الحزب في تنظيم أعمال الدعوة الإسلامية بما أن التنظيم ، انت تفضلت، بان التنظيم في أعمال الدعوة أمر مفيد ويمكن أن يجعل هذه الدعوة قادرة على أن أتصل إلى مساحات أوسع من الناس إلى عقولهم ، كيف يجب أن تكون علاقة القائمين بأعمال الدعوة الإسلامية أيضاً هذا جانب آخر من السؤال ، بداية هل من بديل عن النظام الحزب في تنظيم أعمال الدعوة الإسلامية الجماعية؟؟؟؟

نعم ، البديل هو هذا الذي قد ذكرت، الحزب ناقص عصبية ممتاز وحزب ناقص عصبية لا يتأتمى، إذاً جماعة متألفة متواثقة متعاهدة على العمل والسير في طريق مرضاة الله سبحانه وتعالى كدعاة إلى الله ، نعم هذا هو البديل، طبعاً يكون في منهج، المنهج يتمثل في كيف أحاور الآخرين

لا في كيف أصل إلى الحكم, لا في كيف أمارس أسباب سياسية , لا, فانا أجد أن هنالك مشكلات تقف بيني وبين الناس التائهين, الجاهلين ... الخ ما السبيل الذي ينبغي أن أسلكه نضع منهج, هذا المنهج لا بد منه ونحن الدعوة إلى الله نتواتق أن يكون هدفنا شيئاً واحداً اتباع مرضاة الله سبحانه وتعالى وأن لا نلتفت إلى ما يمكن أن ينغص هذا العمل أو يشوهه من الأهداف الدنيوية المختلفة. انا مثلاً أقول لك انا الآن أستاذ في الجامعة انا متقاعد لكن متقاعد وألقي مع ذلك محاضرات, عملي في الجامعة انا لا أعده دعوة, أنا آخذ مرتب, ولذلك ليس البديل يقول زيد من الناس أنا والله أدعو إلى الله أنا أدرس في كلية الشريعة , أنا أستاذ في الجامعة, لا هذا عمل مهني تنال من وراءه رزقاً, لا, البديل هو بالإضافة إلى عملي هذا, أن ألقى التائهين الجاهلين الشاردين الفاسقين , أجلس إليهم أدعوهم بالأسلوب الذي أراه, أتجاوز معهم وأقبل استهزاءهم في بادئ الأمر, أقبل كلماتهم الشديدة, نعم هذا ما ينبغي أن أفعله في هذه الحالة أكون قد حققت البديل والله هذا البديل أغنى وأفضل, أقول لك شيء: والدي كان من كبار الصالحين ولعله كان من الأولياء, دعيت من زمن ما كنت أدرس في المساجد دروس وهكذا , في الجامعة , دعيت إلى أن ألقى درساً في مسجد من مساجد دمشق للناس فأنا استعفيت وعلم والدي بالوضع قال لي لماذا استعفيت قلت انا الآن أدرس في الجامعة العمل الإسلامي أقوم به, قال: لا هذا العمل الذي تقوم به هو ليس لك عليه أجر فلو أنهم ألغو المرتب ستترك , العمل الذي ينبغي أن تعلم أنه يقربك إلى الله هو أن تجلس مع هؤلاء الناس وتدعوهم إلى الله لا لهدف دنيوي أبداً. قلت: حسناً وسلكت منذ ذلك اليوم هذا المسلك وأخذت أجلس مع الناس والله شيوعيين مع ناس ملاحدة , وكم وكم سمعت كلمات فيها من الهزء ما فيها, مرة أحدهم قال لي وكان ماركسياً : أريد أن أسألك يا أستاذ لو أحببنا نهج النهج الذي تقوله نصلي ونتجه منذ الآن حتى الله سبحانه وتعالى يحقق لنا النمو الاقتصادي والتخلص من الرجعية والتخلص من التخلف كم سنة تحتاج؟؟ طبعاً كان يحكي بأسلوب الهزأ قلت له أنت ماركسي هل سألت لينين أو سألت الذي يشرف عليك في هذا الموضوع هذا السؤال, هل قلت له كم من السنوات ينبغي أن نصبر الى أن نجد هذا الفردوس المفقود الذي تحدثونا, أبداً ما قلت, أنت عبد يا أخي وأنا عبد عبوديتنا لله تمنع أن أقول هذا, ان أشترط على الله, ما جئنا الى العالم بشرط والآن هو من أفضل المصلين, من أفضل المتجهين الى الله عز وجل فهذا هو البديل.

- هناك سؤال في هذا السياق لا بد منه وهو سؤال هام كيف يجب أن تكون علاقة القائمين بأعمال الدعوة الإسلامية التي هي دعوة إلى الله خالصة إلى الله تعالى مع الحكام والقادة وأنظمة الحكم في البلاد الإسلامية؟؟؟؟

والله أنا لا أقول شيئاً أكثر مما قاله علماء الشريعة الموثوقين الربانيين من أمثال الامام الرازي, من أمثال الامام الغزالي حجة الاسلام الغزالي, من أمثال الامام النووي الذي كان له مركز في دار الحديث هنا, ماذا يقولون؟ أولاً ينبغي فيما يتعلق بعلاقة الداعية إلى الله بالحكام والقادة أولاً ينبغي أن يستعلي الواحد منهم عما في جيبه, ينبغي أن يستعلي ويستغني الداعي عن المغام المالية التي قد تصل إليه من الحكام والقادة والمسؤولين هذا أول شيء, ثانياً ينبغي أن يبرز بما يثبت صدقه, صدق هذا الداعي أيضاً عفته وتساميه عن كرسي الحكم الذي يتبوأه ذلك الحاكم, يجب أن يعلم ذلك, ثالثاً إذا دعاه الحاكم, الرئيس, المسؤول, يجب أن يلبيه لكن إذا لبّاه يجب أن يجعل لقاءه لقاء نصح له ودعوة له ولا ينبغي أن يجعل هذا اللقاء الذي دعني إليه فرصة لمغنم دنيوي أياً كان, هذا كلامهم وأنا أنقله تماماً هكذا يقولون, الشيء الآخر وهذا من الأهمية بمكان ينبغي إذا سنحت الفرصة للداعي إلى الله أن يجلس إلى قائد, إلى حاكم, رئيس دولة بالطريقة التي ذكرت يعني هو الذي دعاه ونصحته تنفيذاً لقول رسول الله "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" نصحه, ينبغي إذا خرج أن لا يحرك لسانه بما حصل في ذلك المجلس فلا يقول في المجالس والله أنا اليوم دعيت إلى مجلس عند الرئيس الفلاني فقلت له كذا وقلت له كذا لأن الرجل في الواقع فاسق لأنه كذا ثم يجلس في مجلس آخر ومجلس آخر, هذا لا يجوز أبداً وإن فعل ذلك فذلك دليل على أنه يعاني من نوع من النفاق والرياء..

- وفي ذلك إخلال بالأمانة؟؟؟؟

إخلال بالأمانة بالضبط, هنالك, هذه النقطة الأخيرة كثيرون من أخواننا الدعاة يغيب عنهم هذا الأدب الذي يذكره العلماء المسلمين فيما يتعلق بالعلاقة بين الداعي وبين المسؤولين وبين الحكام يعني مثلاً حديث "كلمة حق عند سلطان جائر" ينفذونها بالطريقة التالية: كلمة حق على سلطان جائر, في غياب سلطان جائر, يصعد المنبر: الحكام هكذا شأنهم يفعلون, يظلمون, يرتكبون ولكن الحكام لا يسمعون أنت تحكي للناس, النبي لم يقل كلمة حق في غياب سلطان جائر أو على سلطان جائر قال عند, تجلس إليه وتقول له هذا الكلام وليست كلمة عند سلطان جائر دالة على أنه ينبغي أن تكون هذه الكلمة بقسوة هكذا أيضاً يظن البعض, لا أبداً. الباري قال لسيدنا موسى وهارون "فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى" هذه الحقيقة, أي علاقة الداعي إلى الله مع الحكام

ينبغي أن يكون على هذا المنوال والإمام الغزالي في كتابه الإحياء يطيل ويفيض في هذه الآداب ويذكر قصص واقعية، أنا أقول هذا الكلام لإخواننا الذين يسمعون ويريدون أن ينهجوا المنهج الإسلامي في الدعوة إلى الله عزوجل والله يا إخواننا هكذا ينبغي أن يكون، وأكد إذا كان الداعي إلى الله ملتزم بهذه الآداب ووقف أمام الحاكم يدعوه إلى الله وينصحه والله سيقبل النصيحة.

- **أشرت إلى مسألة إلى أن الدعوة إلى الله ان تكون خالصة وأن تكون حتى لا يطلب الإنسان منها أجراً إلا عند الله، هذه المسألة قد تتأتى عند البعض نتيجة وجود بعض الموارد التي يمكن أن يعيشوا من خلالها لكن البعض الآخر فضيلة الشيخ لا يمتلكون الموارد إلا هذه المسألة من إمامة أو من خطابة أو ما شاكل...؟**

لا يوجد مشكلة أن يقبض الإنسان مرتب على خطابته والعلماء أوضحوا ذلك ، لا يوجد خلاف

- **لكن أنتم في ذلك عففتم فضيلة الشيخ...؟**

لا أنا ما قصدت ذلك ، يعني أنا أضرب مثلاً بنفسي خطيب جامع والدولة تقدم لي مكافأة أو مرتب على هذه الخطابة لا بأس ولكن فلأعلم أن هذا العمل ليس العمل الذي يجعلني داعياً إلى الله بالضوابط التي ذكرنا، أضيف إلى هذا العمل الذي أقوم به عملاً آخر طوعياً بأي طريقة من الطرق، أجلس أدعو الناس لحوار، لقاء، أذهب إلى بعض الأرياف أشغل مع بعض الجهال التائهين أحاورهم، ألاطفهم، أدعوهم إلى ما يجهلون من أمور الدين، فعندئذ ماذا أكون قد صنعت؟ أكملت النقص، المرتب الذي آخذه لا حرج فيه مع ذلك أنا لا أقول أن هذا الخطيب لا ثواب له مطلقاً، لا، إذا كان هذا الإنسان يعلم من نفسه أنه لو لم يتقاضى هذا المرتب في كل الأحوال سيظل يؤدي وظيفته هذه إن مكن من ذلك إن شاء الله ربي عزوجل لا يجرمه من أجر الدعوة، لكن ينبغي أن يضيف إلى ذلك، مثل ما قلت لك والذي قال لي هذا وظيفة ، مهنة ينبغي ان تنهج نهجاً آخر في الدعوة الصافية من الشوائب.

- **حتى لو كانت المهنة نبيلة فهي مهنة مأجورة دنيوياً، بالتالي لا تخلص كاملة لله تعالى؟**

تمام النيات، إذا صفت النيات حتى وإن كان يوجد أجره ربي عز وجل إن شاء الله يقبل.